﴿بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: ٥٤].

«وصفهم بالإيمان بالقرآن واتباع الحجج، بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة، وأمره بأن يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام الله تعالى إليهم، ويبشرهم بسعة رحمة الله تعالى وفضله، بعد النهي عن طردهم.

إيذانًا بأنهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل.

ومن كان كذلك ينبغي أن يقرَّب ولا يطرد، ويُعَز ولا يذل، ويبشَّر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة»، البيضاوي.

سورة الأعراف

١- يا هذا:

لا تأخذنَّ بقول كل ناصح،

فإنَّ الشيطان قال لأبويك: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، ولم يكتف بذلك بل أقسم عليه!

فكان ما كان .. فلا تغتر.

٢- ولا يزال الشَّيطان يزين لك أنها السَّعادة الأبدية؛ فإذا واقَعْتَها رأيت حقارة الأمر ووضاعته!

فلا تفعل فإنه فخ قديم وقع فيه أبويك..

فكن على حذر.

٣- وقال الكليم موسى لقومه، وهم مستضعفون في الأرض، يخافون أن يتخطفهم فرعون وجنوده،

﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

كن من أهل التقوى، تكن لك العاقبة!

٤- أشدُّ ما يَصُدُّ عن الانتفاع بالقرآن، ويفسد العالم وطالب العلم:

أولًا: التعلق بالدنيا، وإيثارها على الآخرة.

ثانيًا: واتباع الهوى.

فأمَّا الدنيا فمهلكة أي مهلكة، والتعلق بها له صور خفية وأخرى جلية، فمن صوره الخفية؛ تقديم أهلها ومحبتهم والركون إليهم ومحاولة مزاحمتهم فيها.

وأما اتباع الهوى، فكمحاولة البحث عن الآراء الشاذة لتجويز المحرم، أو الاستهانة به، أو التهوين من شعائر الله.

وينتج عن هذا انسلاخ من الآيات وإعراض عنها، وتبرؤ منها، بحجة أنه قديم، والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره.

وقد قص الله علينا قصة (بلعام) فقال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟

بِـَٔايَـٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ۝ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٨].

سورة الأنفال

١- إذا فتح الله للإنسان بابًا لفهم الكتاب، والعمل به، فليستمسك به، فإنه علامة خير وبركة، ألا ترى أن الله تعالى قال عن قومٍ:

﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ ﴾ [الأنفال: ٢٣]، أي: سمع انتفاع وعمل.

٢- مهما اجتهد الطُّغاة في إسكات الحق، فإنَّه لا محالة ظاهر، والله يتم نوره ولو كره المجرمون!

﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]!

٣- ربُّنا الودود، يجعل في قلوب عباده وُدًّا لأناس، وبغضًا لآخرين ..

﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

سورة التوبة

١- ﴿ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ ﴾ [التوبة: ٣٦].

هذا هو شعار المؤمن في الأشهر الحرم،

لا تظلم نفسك، ولا تظلم غيرك، ولا تساعد أحدًا على الظلم!

٢- عن عمرو بن الحارث، عن أبيه: أن أبا بكر الصديق، رحمة الله تعالى عليه حين خطب قال: «أيكم يقرأ سورة التوبة؟» قال رجل: أنا، قال: اقرأ، فلما بلغ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ ﴾ [التوبة: ٤٠] بكى أبو بكر وقال: «أنا والله صاحبه»!

من صفة الصاحب حقًا = نفي الحزن عن صاحبه، وبث السكينة والطمأنينة في قلبه، ألا ترى إلى أعظم الأصحاب، وهو محاط به مع صاحبه، لما رأى الحزن داخل قلبه، قال له: ﴿لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ [التوبة: ٤٠]!

٣- «لا بد من أذى لكل من كان في الدنيا، فإن لم يصبر على الأذى في طاعة الله بل اختار المعصية؛ كان ما يحصل له من الشر أعظم مما فر منه بكثير.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ ﴾ [التوبة: ٤٩]!

ومن احتمل الهوانَ والأذى في طاعة الله على الكرامةِ والعزِّ في

معصية الله - كما فعل يوسف عليه السلام وغيره من الأنبياء والصالحين - كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيمًا وسرورًا.

كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزنًا وثبورًا»، ابن تيمية.

٤- المنافِقُونَ والحاكمونَ بغير ما أنزل الله يبحثون عن حلول الأزمات، والمخرج منها.

لكنَّ بحثهم للدنيا لا مراعاةً للآخرة وشؤونها، وكذلك كان سلفهم من المنافقين.

وقد أظهر الله سريرتهم في أكثر من سورة من أجلِّها السورة الفاضحة (سورة التوبة).

إنهم ينفقون أموالهم، لكنها رِئَاءَ الناس.

إنهم لا يقيمون للدين وزنًا، ولو كان عرضًا قريبًا وسفرًا قاصدًا لاتبعوه.

إنهم يبنون المساجد، لكنَّها مساجد الضرار، ما التقوى أرادوا ببنائها.

وليحلفنَّ إن أردنا إلا الحسنى!

إنَّ اقتصادهم يحركهم، يخافون من انهياره، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ [التوبة: ٩٣]!

لكنهم لا يقيمون لانهيار دين الناس وزنًا.

ومع ذلك يتبجحون قائلين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]!

ألا إنهم هم المفسدون، ولكن لا يشعرون.

سورة يونس

١ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [يونس: ٢٣]!

ما من ذنب أجدر أن يعجِّل الله عقوبته في الدنيا، مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة، من البغي.

٢- ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس: ٦٩- ٧٠]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٦- ١١٧].

الافتراءُ على الله تعالى وطمس الحق عادة الطغاة والذين يشرعون لهم، والله يُذْهِبُهُ ويمحقُه، متاعٌ قليلٌ، ويذيقُهم الله العذاب الشديد المؤلم.

سورة هود

١- قال هود لقومه: ﴿ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ [هود: ٥٤- ٥٥].

إنَّ هذه آية من آيات الله في أنصار الحق، وعبرةٌ من العبر، من آيات الله فيهم أن يزيل من قلوبهم هيبة الظالمين، وخشية المفسدين؛ «لأنَّ قلوبهم

امتلأت بالخشية من الله والخوف منه، ولأنَّهم واثقون بضعف كيد الشيطان، وأنصار الباطل، وقد أرانا الله - تعالى - أنَّ الباطل لَجْلَج، وأنَّ الحق واضح أَبْلَج، وأنَّ العاقبة لأوليائه، والخذلان لأعدائه، وقدوتنا الحسنة في ذلك أئمة الهدى، وهداة البشر، مَن اختارهم الله - تعالى - لقيادة الناس، وسعادة الإنسانية، فهم الذين يرسمون لنا طريق الدعوة، ويعرفوننا الاستهانة بالباطل، وإكبار الحق، ومن أجل ذلك كانوا أشجعَ الناس قلوبًا، وأوثقهم عقيدة، وأربطهم جأشًا، تضطرب الأرض ومن عليها بفساد المفسدين وهم لا يضطربون، وتضجُّ من هول الجبابرة والمستكبرين، وهم على دينهم دائبون، وبدعوتهم معتصمون، وعلى ربهم متوكلون»، [دعوة الرسل، محمد أحمد العدوي].

٢- بعد سرد تاريخي موسع لقصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في سورة (هود)، وذكر لعناد أقوامهم، واستعراض لمسيرة الدعوة الإسلامية في التاريخ البشري كله، وبيان أصولها، ذكرت السورة انقسام الناس في الآخرة إلى سعداءَ وأشقياء.

وذكرت السور أوصاف السعداء ليأتي في مقدمها: عدم السير في ركاب الظلمة.

إنَّ من أهم الصفات التي يتحلى بها أتباع الأنبياء من الدعاة والمصلحين ألا يناصروا ظالمًا قط، وألا يمضي أحدهم في ركابه، وألا يبيع أحدهم دينه ليرضي ظالمًا، ومن أعان ظالمًا بُلي به.

انتقم الله من الظالمين، وحشرنا في زمرة المصلحين، وبصَّرنا بالحق، وجعلنا من أهله.

سورة يوسف

١ - «البلاء إذا هجم هجم مرة، وإذا زال زال بالتدريج!

حلَّ البلاء بيعقوب مرة واحدة حيث قالوا: ﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ [يوسف: ١٧]، ولما زال البلاء .. فأولًا وجد ريح يوسف عليه السلام، ثم قميص يوسف، ثم يوم الوصول بين يدى يوسف، ثم رؤية يوسف»، القشيري.

٢- صبر يوسف عن لقاء الملك، فأبدله الله عزًا وملكًا، فمن قول الملك: ﴿ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾ [يوسف: ٥٠]، إلى قوله: ﴿ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾ [يوسف: ٥٤]!

فكيف لو صبرت عن شهواتك المحرمة؟! صبر ساعة، ونجاة الدهر.

٣- «قال بعض أهل التأويل: في هذه الآية، أي قوله: ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾ [يوسف: ٥٥] = ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر، بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فصل ما لا يعارض فيه، فيصلح منه ما شاء وأما إن كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره، فلا يجوز له ذلك»، ابن عطية.

٤- بعض التهم تحتاج إلى سكوت منك وتغافل، لا ترد عليها، وثق أنهم يومًا ما سيعرفون الحقيقة!

﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ ﴾ [يوسف: ٧٧]!

٥- لا ينفكُّ المحب عن ذكر حبيبه وإن طال الزمن!

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴾ [يوسف: ٨٥].

٦- طال انتظار يعقوب غير أنه لم ييأس، وابيضت عيناه من الحزن غير أنه لم يقنط.

ونصح قائلًا: ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].. اللهم رحمتك.

٧- قال الكريم لرسول الملك: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ﴾ [يوسف: ٥٠]، «فنكب عن ذكر امرأة العزيز حسن عشرة، ورعاية لزمام الملك العزيز له»، ابن عطية.

قلت: وفي قوله سبحانه عن الكريم سليل الكرام: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ ﴾ [يوسف: ١٠٠]!

تنبيهٌ على خلق عظيمٍ جدًا.

فإن يوسف لم يذكر خروجه من الجب = مع كونه أشد، وأعظم، إذ كان غلامًا صغيرًا وحيدًا في جُبٍّ مظلم متروك للأهوال والمخاوف.

لم يَذْكر الجب، وذكر السجن = لئلا يؤذي مشاعر إخوته [وهم الذين رموه في الجب]، وقد عفا عنهم قبل قليل.

اللهم صل على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم!

٨- قد يطُول الطريق حتى تبصر لطف الله بك، فلا تأخذك العجلة، ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

٩- حين يعاين المؤمن نعم الله التي تتوالى عليه تترى؛ يتشوَّف للنعيم الخالد فينطلق لسانه داعيًا ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

١٠- في ختام السورة العظيمة، ابتداء تنبيه من الله تعالى على الطريق الحق، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤]، «ابتدأ الله تعالى الإخبار عن كتابه العزيز أنه ذكر وموعظة لجميع العالم - نفعنا الله به ووَفَر حظَّنا منه بعزته -»، ابن عطية.

١١- ﴿وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩]؟!

لم يكن الكريم يوسف حين قصَّ الرؤيا على أبيه يعلم ما تحمله له الأيام في طياتها، ولم يكن أبوه يعلم حين أخذ ولده منه إلى ما يصير.

لم يكن يوسف على علمٍ لم هذه البلاءات المتتالية، لم الجبُّ، والنِّسوة، والسجن؟

لم فارق أباه؟

لم حسده إخوته؟

لم ظُلِم ووضِعَ في السجن؟

لكنه أدرك كل هذا، وكانت الحكمة العظيمة: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]!

فكم لله من لُطفٍ خفي ... يَدقُّ خفاه عن فهمِ الذَّكي
وكم يسرٍ أتى من بعد عسرٍ ... ففرَّج كربةَ القلبِ الشَّجي
وكم أمرٍ تُسَاءُ به صباحًا ... فتأتيك المسرة بالعشي

١٢- في سورة الكريم سليل الكرماء، يوسف عبر عظيمة وآلاء جسيمة، تأمَّل كيف أنجاه الله من حسد إخوته، بوضعه في الجب، ثم أنجاه من الجب، إلى بيت العزيز.

وأنجاه من كيد النسوة، بوضعه في السجن، ثم أنجاه من السجن، ليكون العزيز.

خفضٌ ورفعٌ، ومحنة فمنحة= هذه هي الدنيا، ومع ذلك أعلنها حقيقة مدوية:

﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]!

١٣- قميصُ يوسف: دل على كذب إخوته، ودل على براءته من الفاحشة، ورد الله بصر يعقوب به، فسبحان من يتصرف في الكون بالتدبير واللطف.

١٤- بعض المحبة بلاء، وفي قصة الكريم يوسف النبأ = أحبته عمته،

وأحبه أبوه، وأحبته امرأة العزيز، فابتُلِيَ من جرَّاء تلك المحبة بما لا يخفى!

١٥- مهما امتلأت حياتُك بالأحداث فلا بد أن تكون غايتك كغاية يوسف عليه السلام، فإنَّ حياته المليئة بالأحداث بين محنة ومنحة، وبيع ومُلْك، وفراق واجتماع، ووحشة وأُنْس.

إلا أنه ختم قصته بقوله: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال جدُّه الخليل: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْأَخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٣-٨٥].

وقال حفيده سليمان: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

سورة الحجر

١- بعضُ الناس إذا ابتلي بذنب ومعصية أدركه اليأس والقُنوط، فيدفعه إلى الاستمرار بالذنب والمجاهرة به، والإصرار عليه.

وهذا كفعل إبليس، إذ قال لربه: ﴿فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[الحجر: ٦٦]، فسَأَل تأخير عذابه زيادة في بلائه كفعل الآيس من السلامة، نسأل الله العافية.

أمَّا آدم عليه السلام فإنه تاب فتاب الله عليه، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

٢- جاء قوله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحجر: ٨٨] بعد قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧].

والمعنى: «قد أغنيتك بالقرآن عمَّا في أيدي النَّاس، فإنَّه ليس منَّا من لم يتغن بالقرآن، أي ليس منَّا من رأى أنَّه ليس يغنى بما عنده من القرآن حتى يطمح بصره إلى زخارِفِ الدنيا وعندَه معارِفُ المولى»، القرطبي.

سورة الكهف

الكليم موسى، والخضِرُ المعلَّم يستطعمان أهل قرية فيقابلوا بالرفْضِ والإِبَاء!

فأيُّ قيمة للدنيا إذًا؟!

قال سبحانه: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ [الكهف: ٧٧]، «وهذه عبارةٌ مصرحةٌ بهوَان الدنيا على الله»، ابن عطية.

سورة مريم

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ [مريم: ٢].. الذي أَعْلَن رحمة الله به، وأنه لم يخيب له دعاءً ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤]، يقول:

يقول: ولم أشْقَ يا رب بدُعَائِك، لأنَّك لم تخيب دعائي قبلُ إذْ كنت أدعوك في حاجتي إليك، بل كنت تجيب وتقضي حاجتي قبلك.

وخافت الشريفة البتول مريم على عرضها، فاستعاذت بالرحمن، ليَقِيَها شرَّ من ظنَّت أنه يتهجم عليها، فأجابها أنه رسول ربها ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]..

في ساعات الضيق = تكون الرحمة، ومع الشدَّة يأتي الفرج، إننا نتعامل مع الله الرحمن .. الكريم .. اللطيف.

وحينها نطق عيسى في المهد، ليعلن براءة أمه، وليخبر الناس - كل الناس - أنه عبد لله .. الله هو الحق، وهو الذي يظهر الحق، وهو الذي يقضي الحق، وهو خير الفاصلين.

سورة الأنبياء

لم تكن دعوةُ الأَنبياء مقصورة على بيان الحق وإيضَاحِه فحسْب، بل جمعوا إلى ذلك هدم الباطل، وتقويض صروحه، وإعلانِ البراءة منه، ومن أتباعه، وبيان وجهه القبيح.

لقد قال الخليل لقومه: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، وقال موسى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧].

ومن أصول الدين العظيمة الحبُّ في الله، والبغض في الله.

سورة الشعراء

إياك أن تهون من الوعظ، وترقيق القلوب:

فإن قومًا بلغت بهم الحال إلى أن صارت مواعظ الله، التي تذيب الجبال الصُّم الصلاب، وتتصدع لها أفئدة أولي الألباب، وجودها وعدمها – عندهم – على حد سواء = لقوم انتهى ظلمهم، واشتد شقاؤهم، وانقطع الرجاءُ من هدايتهم.

ولهذا قالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦]!

نسأل الله العافية.

سورة القصص

العجيب أنَّ سورة القصص لا تحوي إلا قصة موسى عليه السلام، وقصة قارون لعنه الله!

لكنها في حقيقتها قصص فريدة تمتزج امتزاجًا عجبًا.

تبدأ بذكر تمكين المستضعفين.

فقصة الطاغية.

فقصة وزير الطاغية.

فقصة جنود الطاغية.

فقصة أم موسى.

فامرأة فرعون.

فأخت موسى.

فنشأة موسى.

فمعصية موسى، وتوبته.

فصاحب سوء لا يأمر إلا بالشر، ولا يأتي منه إلا شر.

فرجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه نصَّاح لموسى خائف عليه وعلى دعوته.

فهرب موسى من مصر، وخوفه.

فمشهد مدين، وامرأتان تذودان لأن أباهما شيخ كبير.

فشهامة موسى ومساعدته لهما على فاقته وجوعه.

فقصة الشيخ الكبير الذي آوى موسى وهدَّأ روعه.

فنعمة الله على الخائف الطَّريد بتزويجه وتعدُّد الإنعام عليه.

فقصة النور الذي آتاه الله لموسى.

فقصة سؤال موسى ربه أن ينعم على أخيه بالنبوة، لنعلم أنَّ الوظائف الدينية لا تتزاحم.

فقصص مجملة، تحوي مصير أمم أهلكها الله، قرى طغت وتجبرت.

ثم قصَّة الطغيان الاقتصادي بذكر مثال له، وهو قارون.

فقصَّة الجهلة الذين فرحوا به وتمنوا حاله.

فدورُ أهل العلم في إصلاح رؤية الجهلة، لأنهم أبصَروا الحقيقة التي جهلها هؤلاء.

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

فقصة خروج النبي ﷺ من مكة، ووعد الله له بالرجوع إليها في موعد يعلمه الله.

سبحانك .. سبحانك كل شيء هالك إلا وجهك، لك الحكم، وإليك المرجع.

١- ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٥-٦]!

تأمَّلوا هذه العظمة والإحاطة في الحديث عن المن، وجعل المؤمنين أئمة ورثة، والتمكين، والمكر بالظالمين!

إن المُؤمن يأوي إلى ركن شديد، فاللهم هيئ لنا من أمرنا رشدًا، وعليك بالظالمين ومن عاونهم.

٢- أرسل الله تعالى موسى لفرعون (الذي يمثل سلطة الحكم)، وهامان (الذي يمثل سلطة الدين)، وجمع الله بينهما مع قارون (الاقتصاد)، فقال:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾ [غافر: ٢٣]، وغيرها.

فتأمَّل كيف جمع بينهما، ونسب الجنود لهما جميعًا!

فلكل فرعون هامان يخاف على سلطته ونفوذه، ويقلب الحق باطلًا والباطل حقًا.

والله تعالى ينتقم منهم جميعًا ويأذن بهلاكهم ليكونوا لمن خلفهم آية.

٣- من شِيَم الكرام مساعدة من يحتاج المساعدة، عرفه أو لم يعرفه، طلب منه أو لم يطلب، ذكرًا كان أو أنثى!

ألا ترى إلى الكليم، كيف حَمَله نبلُ أخلاقه وجميل صفاته، حين رأى ابنتي الرجل الصالح تذودان، وسألهما: فأخبراه الخبر،

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [القصص: ٢٤]، بلا عوض طلبه، إلا الأجر من الكريم.

فأكرمه الله، وأمَّنَه، وزوَّجه، وصار من المرسلين.

٤- ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]!

هكذا أهل العلم حين ينصحون، يوجزُون في اللفظ، ويبدعُون في المعنى.

٥- العالم بالله وأمره إن أبصَرَ الحق = بصَّر الناس به، وحثَّهم عليه!

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [القصص: ٨٠]!

٦- العلماءُ حقًا لا يميلون لأهل الدنيا، ولا يلهثون وراءهم طلبًا لأموالهم، بل لهم عزة ومنعة، ونصحٌ لمن مَال:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [القصص: ٨٠]!

وكم من عالم مَالَ لأهل الدنيا - بتأويل وبغير تأويل - فأفسدوا عليه دنياه وآخرته، وشانُوه واحتقروه.

ولو أنَّ أهل العلمِ صَانوه صانهم ... ولو عظَّموه في النفوسِ لعظما!

سورة العنكبوت

في سورة العنكبوت تثبيتٌ لأهل الإيمان أمام طواغيت الأرض، فيها ثباتٌ وصبر على المحن، فيها نصر لأهل الإيمان، فيها أن العاقبة لهم.

في سورة العنكبوت بيان أنَّ الأرض لله، وأنَّ فيها متسع لمن ضيق عليه في دينه.

فيها أمر ببلاغ القرآن .. بلاغ القرآن .. بلاغ القرآن، ووصف لحملته.

ذكر الله في سورة (العنكبوت) وَهَنَ الطواغيتِ وأتباعهم، وكيف أن الله أهلكهم وما كانوا سابقين.

فيها بيان لأهل الإيمان ألا يتخذوا من دون الله أولياء!

فيها بيان الجزاء الأخروي، وأنَّ الغُرَفَ للذين آمنوا وعملوا الصالحات، العاملون بأمر الله، الصابرون على نعمائه وبلائه.

فيها أن الرزق بيد الله لا بيد غيره.

فيها وفيها، فاملؤوا أَنفُسَكُم من الوحي، عظِّموه، أزيلوا به رانًا على هاتيك القلوب، وظلمة في تلك النفوس!

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

إنه وحي فتعرضوا له!

١ – إذا كان المقصدُ الله؛ ستجد المعِين الذي يأخذ بيدك إلى الآخرة، فيصير لك وليًا حميمًا شافعًا.

وإذا كان المقصد غير الله؛ سيجد المعين كذلك، والمجامل، ومن لا يعتقد اعتقاده لكنه يريد دنياه.

لكن: سيكفر يوم القيامة بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضًا!

قال الخليل: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ

﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

هؤلاء قومٌ أحب بعضهم بعضًا، بحيث لا يخالف أحدهم محبوبه وإن لاح له أنه على ضلال.

والعاقل من علم أنَّ اللذات العاجلة لا عِبرة بها إن كانت تَعقِب ندامة آجلة.

«ويدخل في هذا كل من وافق أصحابه من أهل المعاصي أو البطالة على الرذائل ليعدوه حسن العشرة مهذب الأخلاق لطيف الذات، أو خوفًا من أن يصفوه بكثافة الطبع وسوء الصحبة.

ولقد عم هذا لعمري أهل الزمان ليوصفوا بموافاة الإخوان، ومصافاة الخلان، معرضين عن رضى الملك الديان»، البقاعي.

٢- عملية الإصلاح شاقة لا تُنَال بالراحة، بل يُرحَل إليها على جسر من التعب، وفي آخر سورة العنكبوت، بعد الحديث عن الفتنة في الدين والدنيا، وَضَعَ العلاج فقال سبحانه الكريم:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]!

فاصبروا، وصابروا، ورابطوا، واتقوا الله،

= لعلكم تفلحون.

سورة فصلت

١- أتدري ما الأهوال؟!

أنَّ الإنسان قد يستخفي عن كل أحد، لكنه لن يستخفي عن جلده، ولا عن سمعه وبصره، وكيف يفعل وبهذه الآلات يستمتع؟!

وهذه الآلات نفسها هي التي تشهد عليه يوم القيامة، فتأمل هذا الحوار الذي أخبرنا الله عنه، بعد أن يختم الله على لسان العبد، ثم يأمر الجوارح فتتكلم، فيشهد على العبد ما لا يمكن أن يستتر عنه فقالوا:

﴿لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢١- ٢٢]،

لكن المصيبة حقًا هي الغفلة عن نظر الذي لا تخفى عليه خافية،

﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٢- ٢٤]!

فاللهم استرنا!

٢- من استعمَلَه الله تعالى لدعوةِ الناس، والأخذ بأيديهم إلى طريق الله= فإنه على خير عظيم، امتدحه الله، وأثنى على أهله،

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فلله درهم كم عاص تاب بسببهم، وكم من ضالٍ رجع بجميل خطابهم، هم الأدلاءُ على الله، وقد حازوا شرف التبليغ عن رسول الله.

والرجل منهم - إن وقف على ما يحسن، ولم يتكلم إلا فيما يتقن - فقد فاز والله بخيري الدنيا والآخرة.

وكثيرٌ من العلماء والأئمة هداهم الله وسلك بهم طريق العلم بسبب داعية موفق، فكان العالم وما عمل في ميزان هذا الداعية.

٣- الأمن كلُّ الأمن، أمن من ﴿يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]، والخوف كل الخوف: خوف ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾ [فصلت: ٤٠].

فاعملوا ما شئتم، إن الله بما تعملون بصير!

سورة الأحزاب

من أعظم موارد السلوكِ الحق = معرفة أحوال رسول الله، وإدمان مطالعتها مرة تلو الأخرى، وهي الحياة لمن أحسن التأمل ورزقه الله الفهم.

وربنا يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

سورة سبأ

﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ﴾ [سبأ: ٥٠]!

في الوحي هدايتك، فلا تطلبنَّها من غيره ..

سورة فاطر، أو سورة الملائكة!

هذه السورة تحتوي من شريف المعاني ما يبهر الألباب، ويستنطق القلوب بخشية الملك الجليل والإذعان له وحده لا شريك له.

في هذه السورة طمأنينة لأهل الإيمان، أن يثقوا بالله وحده، فما من نعمة إلا هي بأياديه، فإن أمسكها فلا مرسل له من بعده.

ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله!

وفيها أمرٌ لأهل الإيمان بالعزة، وعدم الاستكانة والضعف.

وفيها تحذير من اتخاذ الشيطان وليًا، والأمر بإبداء العداوة له.

وفيها الآية الكاشفة:

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ ﴾ [فاطر: ٨]!

وبعد ذكر الآلاء والنعم، يقرر الله للإنسان حقيقة أمره، ويعلن له حقيقة نفسه وفقره:

﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [فاطر: ١٥].

والعلماء حقًا هم أهل الخشية.

وفي السورة تنبيه عظيم على جلالة الكتاب، وفضل ورثته وحملته، وما أعد لهم من الخير، وما رفع عنهم من شر.

وفي الختام تقريع وتوبيخ للمشركين، إذ كيف يشركوا بالله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا؟!

كيف يشركوا وقد طالعوا ما حل بالأمم قبلهم؟!

فالحمد لله فاطر السماوات والأرض، جاعل الملائكة رسلًا!

١- ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ ﴾ [فاطر: ٨].

«يعني: كالكفار والفجار، يعملون أعمالًا سيئة، وهم في ذلك يعتقدون ويحسـون أنهم يحسنون صنعًا، أي: أفمن كان هكذا قد أضله الله، ألك فيه حيلة؟

لا حيلة لك فيه»، ابن كثير.

قلـت: وممـن يدخـل تحـت الآية مـن زَيَّن الشـيطان لهم مـوالاة الظلمة والسعي في ركابهم، والصد عن أهل الخير، والسعي في إذايتهم.

ألا في الفتنة سقطوا، وفي الوحل ولغوا، ولتعرفنهم في لحن القول، والله يعلم إسرارهم.

وكم ممن زين له سـوء عمله، فقُلبت عنده الحقائق، فصارت الشـمس مظلمـة، والعـذب ملحٌ أجاج، وصـرت عندمـا تخاطبه كأنـك تنفخ في غير فحـم، وكأنـك تقـدح بزنـد مُصْلَد، وهـذا لعمري هو الـداء العَيَاء، نسـأل الله العافية!.

٢- ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ ﴾ [فاطر: ٣٤].

عبَّروا عن كل ما دون الجنة بالحزن، إذ كل سعادة قبل الجنة عابرة.

المؤمـن في المنظـور القـرآني لا ينتظـر البـلاء، ولا تتوقـف حياتـه علـى الخـوف منـه، لأن غايـة الدنيـا إلـى انقضـاء، وانقضـاء الحياة للمؤمن حَسَـن الظن بربه = نهاية التعب والآلام، وبداية النعيم الأبدي، والراحة السرمدية.

ولذلـك عـبر أهـل الجنـة عمـا دونهـا بقولهـم: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ ﴾ !

المؤمن يعلم أنَّ الله جعل البلاء من سنن الدنيا، والبلاء في الدنيا له صور وأشكال متعددة:

فقد يُبتَلى الإنسان بالخير كما يُبتَلى بالشر.

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

والمطلوب منه حال نزول البلاء، أن يذكِّر نفسه بأنه راجعٌ إلى الله، حينئذٍ يهون عليه المصاب: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

وإذا نزل البلاء بالمؤمن كان نظره للآخرة، وللجزاء الذي أعده الله للصابرين، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

والبلاء ينزل ومعه اللطف الذي يشاهده أهل البصيرة ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقد ابتلى الله صفوة خلقه من أنبيائه ورسله بأنواع مختلفة من البلاءات فصبروا، فمنهم من ابتلي بأبيه، ومنهم من ابتلي بزوجته، ومنهم من ابتلي بابنه، ومنهم من ابتلي بقومه، ومنهم من ابتلي بمرض، ومنهم من ابتلي بمُلْك، ومنهم من ابتلي بسجن، ومنهم من ابتلي بتغريب، ومنهم من ابتلي بذنب!

والله تعالى إنما قص علينا قصصهم لنعتبر بحالهم، ولنعمل بعملهم، ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

فاعتبروا يا أولي الأبصار!

سورة يس

﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥].

لا تنشغل بشغل الدنيا عن شغل الآخرة، فإن فعلت فأنت مغبون، فإن كل نعيم هنا لا محالة زائلٌ، أما هناك فلك ما تدعي!

ولو علم أهل الجنة عمن شغلوا ما هَمَّهُم ما شُغِلوا به!

سورة الصافات

لا يُشَان الإنسان ولا يُحمد إلا بعمله، فلا يُشان بعمل فرع ولا أصل!

يقول ربنا سبحانه عن الأنبياء بعد ذكر فضائلهم ومحاسنهم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ [الصافات: ١١٣]!

سورة ص

العاقل لا يلتفت إلى كلِّ قول، ولا يشغل باله بكل أحد، فكثير مما يقال: لا يلتفت له، ولا ينبغي أن ينشغل به!

ذكر الله عن قوم: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ١٦]، فلم يكن الجواب إلا الإعراض:

﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

سورة غافر

بيع الوهم!

عملية يجيدها الطَّاغية، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

ويصدِّقها الدهماء، ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]!

سورة الشورى

﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الشورى: ٧].

سُمِّيت مكة بأم القرى لأمور:

١- أنها منشأ الدين والشرع.

٢- ما روي أن الأرض منها دحيت.

٣- أنها وسط الأرض وكالنقطة للقرى.

٤- ما لحِقَ عن الشَّرع؛ من أنها قِبْلة كل قرية، فهي لهذا كله أم، وسائر القرى بنات.

سورة الزخرف

المؤمن لا ينبغي أن يُحجب بإِلْف العادة عن رؤية النعم، وشكر المنعم، وهي التي تقوده لتذكر الآخرة، والعمل لها.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢].

سورة الدخان

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩]!

«والمعنى الجيد في الآية أنها استعارة باهية فصيحة تتضمن تحقير أمرهم، وأنهم لم يتغير عن هلاكهم شيء ... وعظم قصة فرعون وقومه يجيء بحسبها جمال الوصف وبهاء العبارة في قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾»، ابن عطية.

سورة الأحقاف

إذا لم تنتفع بالحق، ولم تعمل به، فلا تكن مسوغًا للباطل، ولا داعيًا إليه، فإن هذا داء قديم حذر الله منه .

وقد يُسبق الإنسان في طريق الحق، فتأبى نفسه أن يكون تابعًا، ولا ينبغي أن يكون ذلك حاجزًا عن اتباع الحق، فقد يَسبِقُ المتأخر.

قال الحق: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [الأحقاف: ١١].

سورة محمد

في ختام سور القتال، سورة نبينا ومولانا وسيدنا محمد رسول الله ﷺ منهاج عظيم في الحياة، وخاصة في هذه الأيام.

فمنها: النهي عن طاعة من كره ما نزل الله، والتي سماها الله ردة عن الحق بعد ما تبين، وكيف أنَّ الله يُمْلي لأناس ليخرج أضغانهم، وعن فائدة البلاء في التمحيص، وعن الحذر من الوعيد الشديد= آيات فيها معتبر لمعتبر، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وأقبلوا على تأملها، وتنزيلها على قلوبنا!

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٨]؟!!

سورة الممتحنة

في سورة الامتحان، دعا الخليل ربه سبحانه قائلًا: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [الممتحنة: ٥]، وما أعظمها من فتنة.

إنَّ الباطل إذا رأى نفسه منتصرًا، ورأى الغلبة له؛ زهد الناس في الحق، وزُلزل أهله، وبلغت قلوبهم الحناجر، وظنَّ بعضهم بالله الظنونا.

لكن الخليل نبه على أصول العلاج بعدها مباشرة (واغفر لنا ربنا)

لأنك ربنا اغفر لنا ذنوبنا، واستر عيوبنا، وارفع ما بنا، (إنك أنت العزيز) فلو شئت أظهرتنا عليهم، (الحكيم) تفعل بحكمة، ومن حكمته: تمييز أهل الإيمان الصادق، ذلك لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا.

سورة التحريم

الاستقصَاءُ في العتاب عادة غير المحب، وما استقصى كريمٌ قط!

ألم تر أنَّ الله ذكر عتاب نبيه لبعضِ أزْوَاجِه، فقال: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ﴾ [التحريم: ٣].

سورة نوح

* في قصة نبي الله ورسوله نوح عبر كثيرة، وإحدى هذه العبر، تلك النفس العظيمة التي كان يحملها نوح صلوات الله وسلامه عليه.

لقد ابتُلي نوح في محيطه الداخلي بامرأة كافرة، وولد غير مطيع كافر هو الآخر!

نبي تكفر امرأته وولده، لك أن تتصور ما يعانيه، وهو أعظم موحد في الأرض وقتئذٍ.

ومع هذا الصراع ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، لم يفتر عن دعوته قط، لم يتعلل بمشاكله الخاصة،

بل ظل ساعيًا نحو الهدف الذي بعث لتحقيقه.

صلى اللهم وسلم على عبدك ورسولك نوح، وعلى نبينا محمد وسائر الأنبياء والمرسلين.

* وقال نوح النَّبي في الدعاء: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [نوح: ٢٨]!

قال بعض العلماء: إن الإله الذي استجاب لنوح عليه السلام فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار = حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات.

سورة المعارج

تأمَّل في القرآن المجيد وصف اللطيف الخبير للإنسان، وما يعتريه من هَلَعٍ!

تأمل هذه الكلمة جيدًا، وما احتوت عليه حروفها من وصف بليغ عجيب ابتداءً من (الهاء)، وانتهاءً بالعين.

إنه جزوع إذا نزل به البلاء.

تريد العلاج؛

﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ [المعارج: ٢٢]!

سورة النازعات

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]!

«تنطوي هذه الحياة الدنيا التي يتقاتل عليها أهلها ويتطاحنون، والتي يؤثرونها ويدعون في سبيلها نصيبهم في الآخرة، والتي يرتكبون من أجلها ما يرتكبون من الجريمة والمعصية والطغيان، والتي يجرفهم الهوى فيعيشون له فيها...

فإذا هي عندهم عشية أو ضحاها!

أفمن أجل عشية أو ضحاها يضحون بالآخرة؟!

ومن أجل شهوة زائلة يدعون الجنة مثابة ومأوى!

ألا إنها الحماقة الكبرى التي لا يرتكبها إنسان يسمع ويرى!»، سيد قطب.

سورة عبس

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧ - ٢٣]..

هذه حياة الإنسان، باختصار موجز، وتفصيل عميق، لله ما أعظم هذا الكلام، وسبحان من هذا كلامه.

سورة الفجر

تأمل!

يقول الله اللطيف الخبير:

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾ [الفجر: ١٥- ١٧].

ويقول:

﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩- ٢١].

هذه بعض صفة الإنسان - وكلنا إنسان -، وأما علاجه ففي الآيات التالية للآيات السابقة.

سورة الزلزلة

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]

تلك حقيقة لا بد أن تنظر إليها، فلا تحقِرَنَّ عملًا!